بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة الجمعة 3-6-2011م الشيخ الطبيب محمد خير الشعَّال

((عبر من التاريخ -1-))

((الجزء الأول))

الحمد لله.. الحمد لله ثم الحمد لله..

الحمد لله نحمده، ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، وصفيه وخليله، خير نبيٍّ اجتباه، وهدى ورحمة للعالمين أرسله.

أرسله ربنا بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كلّه، ولو كَرِه الكافرون، ولو كَره المشركون، ولو كَره مَن كَرِه، اللهم صلّ على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد.. فيا عباد الله: أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى، فإن تقوى الله هي العدة لنا في الدنيا وفي الآخرة، وإن الله كتب العاقبة للمتقين فقال: ﴿ . . إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [هود:49] وقال تعالى: ﴿ . . وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴾ [طه:132] فإنه من فارَق التقوى فارقه التوفيق في الدنيا والآخرة.

ثم أستفتح بالذي هو خير:

قال الله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [يوسف:109].

وقال ربنا: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [يوسف:111]

وقال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [النور : 34]

قال المفسرون: (أنزلنا إليكم آيات واضحات في ذاتها، وموضحة لغيرها، وأنزلنا إليكم قصصاً عجيبة من أخبار السابقين الذين خلَوا من قبلكم لتهتدوا فيما يقع بينكم من أحداث).

عنوان خطبة اليوم:

(عبر من التاريخ –1–).

أيها الإخوة:

للآيات التي سمعتم آنفاً، ولغيرها، ولأن العاقل يفيد من تجارب غيره، يأخذ نافعها ويترك ضارها، ولأن الحضارات تتلاقى وتتحاور، ولأن سنة الله ماضية في خلقه، وفي كل زمان ومكان... ذهبت إلى تاريخنا القريب والبعيد لأقرأ فيه وأفيد منه ما أظنه – والله أعلم – مفيداً فيما نحن فيه في هذه الأيام.

وأبسط بين أيديكم في هذه الخطب أفضل ما اطّلعت عليه، ولا أنقل كلَّ ما اطّلعت عليه؛ إذ لكل شيء صناعة، وصناعة العقل حسن الاختيار.

من لم يعِ التاريخ في صدره لم يدر حلو العيش من مره

ومن وعى أخبار من قد سبقوا أضاف أعماراً إلى عمره

عنوان عبرة اليوم:

((إدارة الأزمات في عهد عمر))

هذا العنوان وجدته في كتاب أُلّف من عشر سنوات، يتحدث فيه مؤلفه عن سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وبالمناسبة، ففي العلوم الحديثة نجد مفهوم إدارة الأزمات حاضراً في الشركات والهيئات والحكومات على حد سواء.

والأزمة كما يعرّفها أهل الاختصاص: حادث يقع فجأة دون توقع، أو يكون توقُّعه قد تمّ قبل وقوعه بفترة قصيرة جداً، بما لا يسمح باتخاذ الإجراءات المناسبة لمواجهته، وقد يتسبّب في وقوع خسائر مالية أو بشرية أو نفسية. كما قد يؤدي إلى بروز مشكلات جديدة لا يمتلك الفرد أو الجماعة أو الإدارة أو المجتمع الخبرة الكافية لمواجهتها، وربما أدّت الأزمات إلى تغيير الأهداف والاستراتيجيات والأدوات.

ولئن كان مفهوم إدارة الأزمات مفهوماً علمياً إدارياً سياسياً حديثاً جداً، فإنك لتعجب عندما تقرأ في سيرة سيدنا عمر رضي الله عنه حسن إدارته للأزمات بشكل إيجابي جداً، أسفر عن نجاح للفرد والمجتمع.

تعلمون -أيها الإخوة- أن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه تولى الخلافة في السنة الثالثة عشرة للهجرة، وبعد خمس سنوات من تولّيه الخلافة -أي في السنة الثامنة عشرة- تعرّضت الدولة الإسلامية لأزمتين شديدتين.

وهذه السُنَّة (الابتلاء) جارية في الأمم والدول والشعوب والمجتمعات، والأمة الإسلامية أمة من الأمم ، فسُنَّة الله جارية فيها لا تتبدّل.

ومن أعظم الابتلاءات في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه عام الرمادة (أزمة اقتصادية)، وطاعون عِمَواس (أزمة صحية)، وأترك الكلمات لتحدثنا عن تعامل عمر -رضي الله عنه- في إدارة هذه الأزمات، وكيف دفعها بسنة الأخذ بالأسباب وأدب التضرع واللجأ إلى رب الأرباب.

في السنة الثامنة عشرة أصاب الناس في الجزيرة مجاعة شديدة وجدب وقحط، واشتد الجوع، حتى جعلت الوحوش تأوي إلى الإنس، وحتى جعل الرجل يذبح الشاة فيعافها من قبحها، وماتت المواشي جوعاً، وسُمِّيَ هذا العام بعام الرمادة؛ لأن الريح كانت تسفي تراباً كالرماد، واشتدّ القحط وعزَّت اللقمة، وهرع الناس من أعماق البادية إلى المدينة يقيمون فيها أو قريباً منها، يلتمسون لدى أمير المؤمنين حلاً، فكان الفاروق أكثر الناس إحساساً بهذا البلاء وتحمُّلاً لتبعاته.

وفي العام ذاته نزلت بالشام وأطرافه أزمة طاعون عِمَواس، وعِمَواس بلدة صغيرة تقع بين القدس والرملة، نُسِب هذا الطاعون لها لأنه أول ما نجم الداء بها، ثم انتشر منها إلى الشام.

وفيه وقع شيء فظيع مروّع على ما تذكره المصادر، ومات خلق كثير قاربوا العشرين ألفاً، منهم أبو عبيدة بن الجراح، ومعاذ بن جبل، يزيد بن أبي سفيان، وسهيل بن عمرو، وعتبة بن سهيل -رضي الله عنهم-، وأشراف من الناس.

ويعنينا بالأمر إدارة عمر -رضي الله عنه- لهاتين الأزمتين عام الرمادة وطاعون عِمواس لنفيد منه ونتعلم؛ إذ يلحظ الباحث في إدارة عمر للأزمة نقاطاً أعرض عليكم أولها في هذه الخطبة.

النقطة الأولى: ساوى عمر -رضي الله عنه- نفسه وأهله وحاشيته بالناس، يصيبه ما أصابهم.

جيء لعمر بن الخطاب في عام الرمادة بخبز مفتوت بسمن، فدعا رجلاً بدوياً ليأكل معه، فجعل البدوي يتبع باللقمة الوَدَك (الدهن والدسم) في جانب الصحفة، فقال عمر: كأنك مقفر من الودك؟ فقال البدوي: أجل، ما أكلت سمناً ولا زيتاً، ولا رأيت آكلاً له منذ كذا وكذا إلى اليوم. فحلف عمر لا يذوق لحماً ولا سمناً حتى يحيا الناس.

ولقد أجمع الرواة أن عمر كان صارماً في الوفاء بهذا القسم، فعن أسلم قال: كنا نقول: لو لم يرفع الله تعالى المحل عام الرمادة لظننا أن عمر يموت هماً بأمر المسلمين.

وجاء في تاريخ الطبري أنه قُدِّم لعمر عام الرمادة طعام فارِهٌ، فأمر برفعه ولم يطعمه، وأردف قائلاً: (كيف يعنيني شأن الرعية إذا لم يمسّني ما مسهم).

ونظر ذات يوم فرأى فاكهة في يد ولد من أولاده، فقال له على الفور: بخ بخ، يا ابن أمير المؤمنين، تأكل الفاكهة وأمة محمد -صلى الله عليه وسلم- هزلى؟ فخرج الصبي هارباً يبكي.

ساوى عمر نفسه وأهله وحاشيته بالناس، يصيبه ما أصابهم، بل إنه رضي الله عنه جعل من نفسه وأمرائه خلية أزمة يتعبون ليرتاح الناس.

جاء في تاريخ الذهبي عن أسلم قال: لما كان عام الرمادة جاءت العرب من كلِّ ناحية، فقدموا المدينة، فكان عمر قد أمر رجالاً يقومون بمصالحهم، فسمعتُه يقول ليلة: (أحصوا الرجال عندنا)، فأحصوهم من القابلة، فوجدوهم سبعة آلاف رجل، وأحصوا الرجال المرضى والعيالات فكانوا أربعين ألفاً. ثم بعد أيام بلغ الرجال والعيال ستين ألفاً. [تاريخ الإسلام للإمام الذهبي 4/365].

وقد وكّل عمر بهم من يعطيهم قوتاً وحملاناً إلى باديتهم، وكانت القدور يقوم عليها عمال عمر من السَّحَر يعملون الطعام للناس.

وعيّن عمر أمراء على نواحي المدينة لتفقُّد أحوال الناس، فكانوا يشرفون على تقسيم الطعام والإدام على الناس، وإذا أمسوا اجتمعوا عنده، فيخبرونه بكل ما كانوا فيه، وهو يوجّههم.

وكان عمر يخرج ليلاً فيأتي الأنقاب فيطوف عليها يطمئن على أحوال الناس، وقد ذكر عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- بأنه قال: (وإني لأسمعه ليلة في السحر وهو يقول: اللهم لا تجعل هلاك أمة محمد صلى الله عليه وسلم على يَدَيّ، ويقول: اللهم لا تهلكنا بالسنين، وارفع عنا البلاء... يردّد هذه الكلمات).

ومثل الذي فعله في أزمة المجاعة فعله في أزمة الطاعون، فقد عزم على أن يطوف على المسلمين في بلدانهم لينظم أمورهم، ويطَّلع عن كَثَب لا عن كتب بالذي حلَّ بهم، واستقر رأيه بعد المشورة على أن يبدأ بالشام، ثم يتقلب في البلاد يرتّب شأنهم ويساعد في شدّ أزرهم، وهكذا فعل.

أيها الإخوة :

هذه نقطة أولى عرضتها عليكم في إدارة عمر –رضي الله عنه– للأزمة، **ساوى عمر نفسه وأهله وحاشيته بالناس، يصيبه ما أصابهم**، يتبعها نقاط بإذن الله في الخطب القادمة.

وأَخلُصُ مما أطلعتكم عليه إلى أمور أربعة أراها مفيدة لنا جميعاً كلٌّ في معمله أو متجره أو شركته أو بيته أو مؤسسته، ومفيدة على مستوى المجتمع والبلد.

1) من المفيد إنشاء إدارة متخصصة للأزمات، عملُها التخطيط للحل قبل الأزمات، والإشراف على التنفيذ عند الأزمة، والتقييم بعد الأزمة.

2) الصواب لمن يتولى حلَّ الأزمة أن يجعل الناس سواسية، حقوقاً وواجبات، إثابة ومحاسبة.

3) أفضل طريقة للاطّلاع على حقائق الأزمة التواصل المباشر مع من وقع فيها من الناس؛ إذ ليس الخبر كالمعاينة، وليس راءٍ كمَن سَمِع.

4) مهما ضاقت بك الأزمات وبذلتَ في حلّها الأسباب فلا تغفل عن الالتجاء إلى مسبّب الأسباب.

اللهم اجعل لنا من كل همٍّ فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً، وارزقنا من حيث لا نحتسب.

والحمد لله رب العالمين